

تفسير البغوي

207 - قوله تعالى : { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله } أي لطلب رضا الله تعالى { والله رؤوف بالعباد } روي عن ابن عباس و الضحاك : أن هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله A وهو بالمدينة : إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرًا منهم فبعث رسول الله A خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري قال أبو هريرة : بعث رسول الله A عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت : قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد A فركب سبعون رجلا منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم قال أبو هريرة B : ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلمهم التمر في منزل نزلوه فقالوا : تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال : اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحك لحي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا حزر رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر - وهي الزنابير - فحمت عاصما فلم يقدرُوا عليه فسمي حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالغزالي فيعث الله الوادي غديرا فاحتمل عاصما به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا .

وكان عمر بن الخطاب B يقول حين بلغه أن الدبر منعه يقول : عجا لحفظ الله المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته .

وأسر المشركون خبيب بن عدي الأنصاري وزريد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لقتلوه بأبيهم وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحارث موسى ليستحد بها فأعارته فدرج بني لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا خبيب قد أجلس الصبي

على فخذة والموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا فقالت المرأة بعد : وإني ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب وإني لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة إن كان إلا رزقا رزقه إني خبيبا ثم إنهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة فركع ركعتين ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لذت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول : .

(فلست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي شق كان في إني مصرعي) .

(وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع) .

فصلبوه حيا فقال اللهم : إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي ثم قام أبو سروة عقبة بن الحرث فقتله .

ويقال : كان رجل من المشركين يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيبك اتق إني فما زاده ذلك إلا عتوا فطعننه فأنفذه وذلك قوله D { وإذا قيل له اتق إني أخذته العزة بالإثم } يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك إني يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن بمكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ فقال : وإني ما أحب أن محمدا A الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا أصحاب محمد محمدا ثم قتله النسطاس فلما بلغ النبي A هذا الخبر قال لأصحابه أيكم (ينزل) خبيبا عن خشبته وله الجنة ؟ فقال الزبير : أنا يا رسول إني وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان بالليل ويكتمان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا وإذا حول الخشب أربعون رجلا من المشركين نائمون نشاوى فأنزلاه فإذا هو رطب ينثي لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون دم والريح ريح المسك فحملة الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض .

فقال الزبير : ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال : أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شليهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم فانصروا إلى مكة وقدا على رسول إني A وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في

الزبير والمقداد بن الأسود { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله } حين شريا أنفسهما لإنزال خبيب عن خشبته .

وقال أكثر المفسرين : نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ؟ ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقيه أبو بكر وعمر في رجال فقال له أبو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى فقال له صهيب : وبيعك فلا تتحسر قال صهيب : ما ذاك ؟ فقال قد أنزل الله فيك وقرأ عليه هذه الآية .

وقال سعيد بن المسيب و عطاء : أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي A فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أنني لمن أركم رجلا والله لا أضع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وإيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا : نعم ففعل ذلك فأنزل الله هذه الآية .

وقال الحسن : أتدرون فيمن نزلت هذه الآية ؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى أن يقولها فقال المسلم والله لأشرين نفسي فتقدم فقاتل وحده حتى قتل .

وقيل نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس : أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال وأنا أشري نفسي فقاتله فاقتل الرجلان لذلك وكان علي إذا قرأ هذه الآية يقول : اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر بن الخطاب إنسانا يقرأ هذه { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله } فقال عمر (إنا والله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمه عن أبي غالب عن أبي أمامه أن رجلا قال : يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال : [أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر]